كلمة الأب وليد موسى
رئيس جامعة سيّدة اللويزة

الجامعة والإنماء الانساني

بمناسبة عيد جامعة سيّدة اللويزة
يوم التأسيس
٨ أيّار ٢٠٠٨

أيها الأصدقاء

للمرّة الثالثة، أقف أمامكم، في العيد السنوي لهذه الجامعة، وذلك بعد تعييني، من قبل رهبانيتي الكريمة، رئيساً لهذه المؤسسة صيف ٢٠٠٥.

في المرّة الأولى، أي أيّار ٢٠٠٦، ورغم أن الأوضاع الوطنية كانت أفضل مما هي عليه اليوم، إلاّ أنّها كانت متّشحة بالحزن والسواد والقلق، ومع ذلك، استعنت بالرجاء الروحي، لأختم كلمتي بالقول: "آمل في العيد المقبل للجامعة، أن نحقّق قفزة نوعية تتجسّد بإحداث بعض التغيير في سلوكنا الوطني، وفي عقلية العاملين في الشأن السياسي اللبناني."

ولكن، وكلكم يذكر، أنّ العيد "المقبل" في أيّار ٢٠٠٧ كان أيضاً أكثر سواداً وأوجع قلقاً، فالشلل يعمّ الوطن، والانقسامات تزداد عمقاً، والأوضاع الأمنية تنذر بأخطار وخيمة، ومع ذلك، استعنت مجدّداً بالرجاء لأختم كلمتي بالقول: "دور الجامعة يجب أن يتعدّى التعليم الى إعداد جيل جديد، يتمتّع بثقافة سياسية، ويمارس الحوار، ويلجأ الى القلم، بعيداً عن البندقية والعنف."

وتأتي السنة الثالثة والعيد الثالث، والأوضاع أكثر فساداً وتشرذماً وقلقاً وخوفاً، فلا رئيس جمهورية، ولا حكومة قادرة، ولا مجلس نيابي فاعل، والإدارات تضعف وتهترىء، والوضع الاقتصادي ينذر بضائقة وجوع، والاعتصامات والاضرابات تهدّد البلد، وجوازات السفر تتضاعف، ولا ضوء في الأفق. فماذا أقول؟

ثلاث سنوات، أيها الأصدقاء، نعيش تناقضاتٍ خطيرة ولافتة، يمكن أن أختصرها، على الصعيد الجامعي، بثلاثة أسئلة:

- هل يمكن لأهل التربية، أن يعملوا على النمو والتقدّم، فيما الوضع السياسي والأمني والاقتصادي، على توتّر وتخلّف واهتراء؟

  بمعنى آخر، هل يمكن فصل العمل التربوي، عن العمل الوطني؟
- هل يمكن لجامعة، كجامعتنا، أن تنعزل عن مجتمعها، وتصبّ جهودها على التعليم والثقافة، غير مكترثة بأوضاع البلد والمجتمع؟
- كيف يمكن للتربية وللجامعات مواجهة التحديات التي تعصف بالوطن، وأن تلعب دورها الطليعي والطبيعي في قيادة المجتمع نحو الخير والسلام، فيما أهل السياسة يتخبّطون في تناقضاتهم وصراعاتهم، وفي قيادة البلد نحو الفتنة والانقسام والجوع؟

ثقوا، أيها الأصدقاء، أنّ هذه الأسئلة بدأت تراودني، منذ زمن، ومنذ أحسست أن دورنا، في الجامعة، يجب أن يتجاوز التعليم الى الشأن الوطني. وقد ساهم قداسة البابا بنديكتوس السادس عشر، في توهّج هذه الأسئلة، عندما ذكر في محاضرته التي كان عازماً على إلقائها في جامعة La Sapienza في ١٧ ك٢ الماضي، اذ قال: *" ان هدف الجامعة هو الانسان الذي يريد أن يعرف ويريد أن يكتشف الحقيقة."* فهل نحن نعمل في هذا الاتجاه، ونساعد الانسان على كشف الحقائق، أم نحن نتغاضى عن ذلك، ونطمر رؤوسنا في الرمال، ونخاف من طرح الأسئلة القلقة أو الإجابة عليها؟

لقد أنهى الحبر الأعظم محاضرته بالقول: *واجبنا أن نستفزّ العقل للبحث عن الحقيقة، عن الخير، عن الله.*

وانطلاقاً من ذلك، وتصدّياً لهذا الواقع المأساوي الحزين الذي نعيشه، بحثت مع بعض الزملاء والمفكّرين والمثقفين في الجامعة وخارجها، عن ضوء تساهم فيه الجامعة، فلم أجد غير الانسان. العنصر الانساني، وحده، هو القادر على الانقاذ. فكيف نؤمّن لهذا العنصر الانساني، أستاذاً وموظّفاً وطالباً، امكانية الارتقاء الى المستوى المطلوب وإحداث التغيير المنشود؟ وما شجّعني على ذلك، هو هذا الشعار الذي رُفع في ١٣ نيسان الماضي، ذكرى بداية الأحداث والمآسي في لبنان، اذ اتّفق المجتمع المدني وهيئاته المختلفة وفي الطليعة وسائل الإعلام على رفع الشعار التالي:

"لبنان كله يرفض ١٣ نيسان آخر

ويتمسّك بوحدته في جمهورية تحافظ على السلام وترعى حقوق الانسان وحريّة المواطن."

في هذا الشعار، إصرارٌ على السلم الأهلي فيما كان أهل السياسة، أو معظمهم، يتبادلون الملاكمات الكلاميّة، ويرشقون بعضهم بتهم التخوين والعمالة، وكأنّ لبنان كلّه أصبح مجموعة من المرتزقة الذين يعيشون على هامش التاريخ، وفي خدمة الأجنبي. حتى قال أحدهم عندما سمعهم يتشاتمون: كلهم معهم حقّ. رحم الله المهاتما غاندي الذي كان يقول: *الصدق والاستقامة خير السياسات.* فأين نحن من ذلك؟

أجل، أيها الأصدقاء، لا خلاص لنا إلاّ بالتفاعل الانساني، ورفد المجتمع المدني بالعناصر القادرة على إحداث النقلة النوعية المطلوبة في لبنان، كيف يكون ذلك؟

الجواب في التركيز الأساسي على الانسان في الجامعة، من خلال التفاعل المطلوب بين الأساتذة والموظفين والطلاّب، وعلى قول الحقيقة، وعلى استخدام الكلمة، كقوّة إلهيّة، وليس

كوسيلة لطمس الحقائق والتعمية على الناس، مستعيناً برؤيا يوحنا: *"انّي عالم بأعمالك أنّك لست بارداً ولا حاراً، وليتك كنت بارداً أو حاراً. ولكن بما أنّك فاتر لا حار ولا بارد، فقد أوشكت أن أتقيّأكَ من فمي."*

أيها الأصدقاء

كيف ننمّي مجتمعنا المدني، داخل الجامعة؟ وخارجها؟ كيف نعمل على إنماء الانسان، أستاذاً أو موظّفاً أو طالباً؟ كيف نواجه قوى الشرّ والطائفية والمذهبية والتبعية والعنف؟ اذا سقط بعض أهل السياسة في الوحول، وأسقطوا معهم الوطن، فهل نعتكف نحن ونستقيل من الدور المُناط بنا؟

الجواب في العمل على إعداد أستاذ جيّد وموظّف جيّد، ليكونا العامل الأساسي في إعداد طالب جيّد. لا يعني ذلك أن يفقد المعلّم دوره التعليمي التقليدي، بل أن يتجاوزه، الى تفاعل خلاّق مع الطالب. جميل أن يحمل المعلّم الألقاب العالية، ولكن اللقب لا يشرّف المعلّم إذا لم يشرِّف هو اللقب الذي يحمله. كيف يكون المعلّم **"معلّماً"** لا مجرّد ناقل معلومات. كلمة **"معلّم"** – ويسوع معلّم - تتضمّن كل معاني القيم التي يحتاجها الواقع اللبناني، بكل تعدّديته وتنوّع ألوانه.

تعالوا ننمّي شخصيّة الانسان على القيم التالية... وسننتصر:

١- **التصدّي للأصولية والتطرّف:** دور المعلم الحقيقي هو في التمييز بين الأصالة والأصولية، بين الاعتدال والتطرّف، وفي زرع بذور التمييز في عقول طلاّبه، وهذا لا يكون إلاّ من خلال الثقافة التي يمكن للطالب أن يحصّلها، برعاية أستاذه، ومن خلال البحث والمطالعة والحوار. وعندما تتأصّل الثقافات تأصّلاً عميقاً في الطبيعة الانسانية، في شخصيّة الطالب، فلن يكون عبداً لغرائزه، بل ترتفع به الثقافة الى حدّ ***" أحبّوا أعداءكم، واغفروا لمضطهديكم."***

٢- **اعتماد الحوار البنّاء:** دور المعلّم ادارة الحوار وتنظيمه وتوجيهه من أجل إغناء طلاّبه بثقافة نقديّة شاملة. ومن هنا ضرورة تمتّعه بالرصانة والكفاءة والقدرة على القيادة. هو قائد، والقيادة تعني التواضع والخدمة والمحبّة. فهل المعلم، في الجامعة، متواضع وخادم ومحبّ؟ بهذا المفهوم، يستطيع المعلّم أن يدير الحوار بين طلاّبه المتعدّدي النزعات. في الحوار نمحو الشعارات الغرائزية التي يزرعها بعض القادة المزيّفين.

٣- **الحرية واحترام الآخر:** إلغاء الآخر أو إهماله أو الابتعاد عنه، يؤدّي الى تشويه الحريّة وسقوطها. ويقول شارل مالك: *"الحرية مسؤولة أمام نفسها، مسؤولة أمام التاريخ،*

مسؤولة أمام الله، الحرية تردع نفسها عن الكذب والتزوير والظلم، الحرية ترتع في المحبّة وتترفّع عن البغضاء." فهل نحن المسؤولون الجامعيّون نفهم ذلك، وهل ان الأساتذة يوجّهون طلاّبهم نحو مثل هذا المفهوم للحريّة؟ هل الاختلاف في الرأي يعني إلغاء الآخر؟ يقول سقراط: *"ينبغي ألاّ يؤدّي الاختلاف في الرأي الى العداوة، وإلاّ لكنت أنا وزوجتي من ألدّ الأعداء."* أهمّ ما في الحريّة، احترام حريّة الآخر.

٤- **النقد الفعّال:** منذ زمان، تمّ الاتفاق على أن رسالة المعلّم تعتمد على ثلاثة عناصر: نقل المعلومات، نقد المعلومات وإنتاج المعلومات. فكيف يمارس المعلّم نقد المعلومات، وهل يصل، مع طلاّبه، الى ممارسة نقديّة تجعلهم يتخلّون عن القيود والغرائز، ويُدينون، بصراحة وشجاعة، بعض خطب زعمائهم السياسيين وأساليبهم غير الأخلاقية. سيادة الوطن تبدأ بالسيادة على الذات، لا بالانقياد الى هذا الزعيم او الانجراف وراء ذاك.

٥- **تشجيع نوادي الفن والإبداع:** وهنا تحضرني رسالة البابا يوحنا بولس الثاني الى أهل الفن (١٩٩٩) التي أعتبر فيها أن الكنيسة في حاجة الى الفن، *"وان هذا العالم الذي نعيش فيه هو في حاجة الى جمال حتى لا يغرق في اللارجاء. الجمال، كما الحق، هو ما يزرع الفرح في قلوب البشر."* كم نحن بحاجة الى تشجيع الفنّ في قلوب طلاّبنا، فنعوّض عليهم، بالفرح، ما يشاهدونه من مآسي الحزن والموت. وهذا يستدعي موضوعاً جديداً هو:

٦- **الملاءمة بين التكنولوجيا الحديثة والفنون الجميلة:** بقدر ما نحن مُعجَبون ومستهلِكون للتكنولوجيا الحديثة في مظاهرها المختلفة، وفي وجوهها المتعدّدة، فنحن نخاف من أن نصبح عبيداً لها، تتحكّم بنا وتسيّر سلوكياتنا. لهذا علينا، كأساتذة وطلاّب، أن نتوجّه الى الفنون الجميلة: الرسم، الشعر، النحت، الموسيقى، الرقص، المسرح...

بذلك نوازي بين العقل والروح، ونعمل على قيام توازن حقيقي بينهما، فلا تكون الروح مستثناة من عملنا الجامعي، تحت ستار ثقافة السوق والاستهلاك.

٧- **التمييز بين الايمان والدين والطائفية:** لقد ثبت أن العامل الديني أساس في حضارة الانسان، أو الحضارة الانسانية. فكيف نحول دون أن يكون الدين عامل تهديم وعنف؟ كيف نخدم الدين ولا نستخدمه؟ وكيف نقتل صورة الله "المتوحّش" لنحيي صورة الله المحبّ الرحوم؟ وهل الدين في خدمة السياسة، أم السياسة في خدمة الدين؟ خطيئتنا كبيرة، نحن التربويين، ورجال الدين، إن جعلنا الهموم السياسية والاقتصادية تغتال الروح التي بها وحدها، تحيا الجامعة ويقوم الوطن.

٨- **بناء المواطنية الصالحة:** منذ نشوء الدولة اللبنانية، وحتى اليوم، لم نستطع أن نبني شخصيّة الانسان المواطن الذي يؤمن بأنّ الدولة أقوى من العائلة والطائفة والمنطقة والحزب... لبنان بلد التنوّع، ولكنّه لم يصل أن يكون بلد الوحدة، أو بلد الرسالة التي بشّر بها قداسة البابا الراحل يوحنا بولس الثاني. لبنان مجموعة رعايا، لا مجموعة مواطنين، ولهذا نحن، كل عشر سنوات، أقل أو أكثر، في أزمة وفتنة وحرب. دورنا نحن، أهل التربية، أن ننمّي روح المواطنية، وإلاّ اتّهمنا بأننا نعدّ أجيالاً للذبح أو للهجرة. الأخوّة المواطنية أعمق من أي ارتباط آخر، شرط أن تكون المواطنية اعترافاً بالآخر، لا إلغاءً له. ومنذ مئتي سنة قال فولتير:
"أنا لست معك في كل ما تقول، ولكنّني مستعدّ أن أقاتل من أجل أن تكون لك الحرية لتقول ما تقول." أسألكم، هل علّمنا طلاّبنا هذه المبادىء؟

على ضوء هذه القيم الأساسية، نستطيع أن نحدث التغيير المطلوب في لبنان. من وظائف الجامعة المبدئية هو الانتقال بالمجتمع من حالة تخلّف الى حالة تقدّم. ولا مجال لتحقيق ذلك إلاّ من خلال الانسان الجامعي، أستاذاً وموظّفاً وطالباً.

لقد أتعبتنا حتى الإنهاك، الأوضاع السياسية العاصفة في لبنان: جماهير، أعلام مختلفة، اعتصامات، مواجهات، اغتيالات، وعنف ودماء... فكيف نجعل من الجامعة نواةً لمواجهة هذه الحالات الانفعالية الشارعية، والتي في بعض الأحيان، تغري طلاّبنا وتجتذبهم وتثير فيهم الغرائز والانفعالات؟

لن نتخلّى عن واجب أُوكل الينا من قبل الله والأهل، ولن نهرب من دورٍ هو في الحقيقة، دور رسوليّ تربوي مقدّس، لهذا نحن مدعوّون، أيها الأساتذة والموظّفون والطلاّب، الى ورشة جديدة، ستكون هي مفتاح عملنا للسنة القادمة تحت عنوان: **الإنماء الانساني**. كان شعارنا السابق: **من الانتساب الى الانتماء**، أما اليوم، فنقول: **من الانتماء الى الإنماء.** والجامعة هي المجتمع المؤهّل لهذا الدور، وعلى صخرتها نبني الوطن المتجدّد الذي نحلم به، وطن السلام والفرح والحضارة.

عشـتم

عـاشت جـامعة سـيّدة اللويـزة

وعـاش لبنـان.